النمط المعماري للمساجد الأثرية بالصحراء الجزائرية
« مسجد العدواني بالزقم في وادي سوف نموذجا »

د. عبد العزيز شهبي*

١- عمارة المساجد الصحراوية

تختلف المساجد في المغرب الإسلامي ، بين المنطقتين التلية الشمالية والصحراوية الجنوبية ، من حيث مواد البناء والعناصر المعمارية والزخرفة والتصميم .

أما المنطقة الصحراوية ، فمنذ دخول الإسلام ظلت بعيدة ، إلى وقت قريب عن كثير من التأثيرات الخارجية ، فحافظت على الأصول الأولى للشخصية الإسلامية إلى حد ما ، مما أضفى على الطراز المعماري الصحراوي أصالة خاصة ، وجعله يتطور داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى ، حسب ما تقتضيه معطيات المنطقة وظروفها .

إن النمط المعماري للمساجد الصحراوية ، نمط بسيط ، ولكنه يعبر عن إسلام صاف ، خال من البذخ وكثرة التكلف والتفنن في البناء والزخرفة . وهو طراز يقتصر على الحد الأدنى من عناصر عمارة المساجد .

إن الصحراء الجزائرية تعتبر من أكثر المناطق أصالة ودلالة على الشخصية الإسلامية ، ففيها تقوم المساجد البسيطة الأصيلة ، التي تعتبر نمطا خاصا من أنماط المساجد الإسلامية . ورغم الترميمات ، وإعادة بناء المساجد والتجديد ، إلا أنها ظلت محتفظة بهيئتها البسيطة التي ترجع إلى العصور الإسلامية الأولى ، حيث أن أغلب هذه المساجد بُني باللبن ، وسقّف بجذوع النخل ، كمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة [١] ، وبعضها – كما في وادي سوف – تغطيه قباب متقنة . ومن هذه الناحية ، فهي مساجد رائعة ، تُسَكّن النفس بهيئتها وبساطتها.

ورغم أن عمارة المساجد الصحراوية لم تكلّف الكثير من التفنن في البناء والزخرفة ، إلاّ أنها مساجد رائعة بهيئتها وبساطتها . وهي الميزة الرئيسية للمساجد الصحراوية الجزائرية .

---

* أستاذ محاضر بالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية – بوزريعة – الجزائر

[١] أعطيت أهمية كبيرة للطراز المعماري في المساجد المغربية الأصيلة (أنظر) حسين مؤنس : المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨١ ، ص ص ٢١٤ – ٢٣٣

المنارة للاستشارات
www.

٢- الخصائص المعمارية للمساجد الصحراوية :

أهمها :

٠١- التركيز على قاعة الصلاة ، والاهتمام بتخطيطها وجعلها مربعة أو مستطيلة .

٠٢- الاهتمام ببائكة المحراب ، وجعلها أوسع ، وتقوم فيها قبة ، عالية ومزخرفة .

٠٣- التقليل من الأروقة التي تحيط بالصحن .

٠٤- تكون العقود – في الغالب – نصف دائرية ، أو منخفضة ، وتقوم على دعائم من اللبن ، أو الحجارة الجيرية ، وهي مواد بناء محلية .

٠٥- يكون المحراب مجوّفا بسيطا ، وهو في الغالب محاط بإطار زخرفي من الجص .

٠٦- تمتاز المساجد الصحراوية بمنابر خشبية بسيطة قليلة النقش والزخرفة .

٠٧- يكون سقف قاعة الصلاة والايوانات بأخشاب النخيل ، أو بقباب من الجص .

٠٨- تتميز الجدران بالتدعيم ، وهي مبنية باللبن ، أو الحجارة الجيرية ، تغشيها طبقة سميكة من ملاط الجص .

٠٩- تأخذ المئذنة هيئة برج ، يتألف من بدن مربع ، مرتفع ، سميك الجدران ، وينتهي البدن بشرفة ، يرتفع في وسطها قطاع صغير ، تختم به المئذنة ، وتقام عليه قبة صغيرة . وتوضع في الغالب الشمسيات في الجدران لتضيء السّلم الداخلي . وتكون هذه الشمسيات على هيئة زخرفة جميلة ، تكسر فراغ الجدران [٢] .

١٠- تظهر البوابات بسيطة مع شيء من الزخرفة في المدخل الرئيسي للمسجد .

١١- تتشابه المساجد الصحراوية في الجزائر ، تشابها كبيرا ، من حيث طرازها المعماري الإسلامي .

١٢- بالإضافة إلى آداء الصلاة ، فجميع المساجد الصحراوية تستعمل لدروس الوعظ والإرشاد ، وتتّخذ كتاتيبا لتحفيظ القرآن .

١٣- من بين المساجد الصحراوية هذه ، يأتي مسجد العدواني في بلدة الزقم بوادي سوف ، والذي هو محل الدراسة ، من جانب النمط المعماري

٣ - مسجد العدواني في بلدة الزقم بوادي سوف

[٢] يمكن المقارنة بالعناصر المعمارية وتطورها (أنظر)
كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية في مصر ، ط ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ ، ص ص ٨٦ – ١١٢ .

المنارة للاستشارات
www.

أ- الظروف التاريخية

ممّا لا شك فيه ، أن جميع المساجد القديمة في منطقة وادي سوف ، أُعيد بناؤها ، وجُدّدت في فترات مختلفة ، وذلك بسبب الظروف المناخية السائدة ، ونظرا لمواد البناء المستعملة . ولكنها – مع ذلك – حافظت تقريبا على الطراز المعماري السابق . ومن بين هذه المساجد ، يأتي مسجد العدواني الواقع في بلدة الزقم ، التي تبعد بنحو عشرة كيلومترات ، شرقي مدينة الوادي .

ويعتبر مسجد العدواني – هذا – من أقدم المساجد في منطقة وادي سوف ، إذ حسب الروايات المحلية ، وحسب تسميته ، فهو يعود إلى قبيلة عدوان المنسوب إليها .

لقد قدم آل عدوان مع بني هلال وبني سليم إلى إفريقية [٣] ، وانتقل آل عدوان إلى الجردانية بوادي سوف ، واستوطنوها حوالي عام ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٤ م . ثم كثر البناء في الجردانية ، وتعددّت الأحياء ، فأصبحت عبارة عن مجموعة قرى ، تسمى بقصور عدوان ، ومن بينها قرية الزقم ، التي كانت – أوّل الأمر – عامرة بآل عدوان فقط ، ثم اختلطت بعد ذلك بغيرهم من القبائل .

وفي تلك الظروف ، أي في القرن ٧ هـ/ ١٣ م ، تأسيس مسجد العدواني بالزقم [٤] ، إذ لا بد لكل بلدة إسلامية من مسجد تُؤدّى فيه صلاة الجماعة ، ويتعلم فيه الكبار فرائض الدين وسننه ، ويتم فيه تحفيظ القرآن الكريم للصبيان .

ونرجح ، حسب الظروف التاريخية والاجتماعية ، أن بناء المسجد كان في غاية البساطة . وربما كان عبارة عن مصلى بدائي ، تختفي منه كثير من العناصر المعمارية ، كالقباب والدعائم والعقود والزخرفة ...ولكن بمرور الزمن والتجديد المتتالي ، تطور الطراز المعماري للمسجد ، حتى قارب من شكله الحالي .

وعند زيارتنا لمسجد العدواني سنة ١٩٨١ ، أكّد لنا إمام المسجد " الشيخ مسعود معمري " أن إعادة البناء والتجديد الأخيرين لهذا المسجد كانا عام ١٣٣٧ هـ/١٩١٩م ، ويبدو بعد ذلك ، تكون ترميمات وإصلاحات وزخرفة ، قد مسّت المسجد . وحسب الدراسة الميدانية التي قمنا بها أثناء تلك الزيارة ، تجلّى النمط المعماري كما يلي :

ب - النمط المعماري لمسجد العدواني بالزقم

١ – التخطيط العام :

---

[٣] عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٦ .

[٤] ابراهيم بن محمد الساسي العوامر : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٧٧ ، ص ص ١٤٠ – ١٤٦ / ٣١٨

المنارة للاستشارات
www.

يأخذ المسجد شكل مستطيل ، عمقه أطول من عرضه ، إذ يبلغ طوله ٣٨ م ، وعرضه ٢١،٥٠ م يبلغ سمك جدرانه ٤٠ سم ، ولقد بنيت بالحجارة الجيرية والجص ، وهي مواد بناء محلية ميزت عمران المنطقة كلها (أنظر شكل ١) .

٢ – قاعة الصلاة :

تتجه قاعة الصلاة نحو الشرق ، وهي تتوسط المسجد ، تخطيطها مستطيل قريب من المربع [٥] ، يبلغ عمقه ١٨ م ، وعرضه ١٧ م ، ويصل ارتفاعها إلى ٤ م .

وتشتمل قاعة الصلاة على تسع بلاطات (أروقة) ، موازية لحائط القبلة ، وتنحصر بين ثمانية صفوف من الدعائم والعقود ، ويبلغ طولها عرض قاعة الصلاة ، وتقاطعها ثماني بلاطات (أروقة) عمودية ، تنحصر بن سبعة صفوف من الدعائم والعقود ، ويساوي طولها عمق قاعة الصلاة .

وتحتوي قاعة الصلاة على أربعة أبواب ، يبلغ عرض كل واحد منها ١،١٠ م ، وارتفاعه ١،٩٠ م . يوجد باب منها في الركن الجنوبي الغربي يفضي إلى الخارج . بينما توجد الثلاثة أبواب الأخرى في الجهة الشمالية ، تؤدي إلى رواق المدخل (شكل ١) .

٣ – الصحن :

يوجد صحن مكشوف في مقدمة المسجد ، من الناحية الشرقية ، ولكنه لا يفتح على قاعة الصلاة ، وهو مستطيل التخطيط ، عمقه أقل من عرضه ، حيث يبلغ عمقه ١٢،٥٠ م ، وعرضه ٢١،٥٠ م .

ويحيط بالصحن من الناحية الجنوبية والغربية ، رواق ذو بلاطة واحدة ، فمن الجهة الجنوبية تتقدمها ثلاثة عقود ، وأربع دعائم ، ويقطعها عقدان ، ومن الجهة الغربية يتقدمها صف متكون من ستة عقود ، وسبع دعائم .

ويشتمل الصحن على حجرة بالركن الجنوبي الغربي ، مربعة الشكل ، يبلغ ضلعها ٣م ، وقاعة بالركن الجنوبي الشرقي يبلغ طولها ٨،٥٠ م ، عمقها ٣ م ، ولها بابان يفتحان في الصحن . وبالركن الشمالي الغربي يمتد مدخل المئذنة . أما بالركن الشمالي الشرقي ، فيوجد بئر ماء ، محاط بسور قصير من الجهتين الشمالية والشرقية . ويقع مدخل الصحن في محور الجهة الشمالية ، وهو على شكل ظلة مربعة تعلوها قبة نصف كروية .

وحسب تخطيط هذا الصحن ، وعدم وجود منفذ بينه وبين قاعة الصلاة ، واحتوائه على بئر ماء ، فإنه كان ميضأة سابقا . (شكل ١)

٤ – رواق المدخل :

---

[٥] يمكن إجراء مقارنة مع تخطيط مختلف المساجد (أنظر)
L . Golvin , La mosquée , I.E.S.I , Alger 1960 , p p 30 – 40 .

المنارة للاستشارات
www.

يتقدم قاعة الصلاة من الناحية الشمالية رواق مستطيل التخطيط ، يبلغ عرضه ٤ م ، وعمقه ١٧ م ، ويشتمل على أربعة أبواب بحائط الواجهة ، وهذا الحائط عبارة عن سور قصير نحيف ، تعلوه شرافات ، وتكتنف أبوابه نقوش جدارية ، وكل باب فيه يقابل بابا من الأبواب الثلاثة لقاعة الصلاة .

أما الباب الرابع فهو يفضي إلى رواق الميضأة . وينشطر هذا الرواق طولا إلى قسمين متوازيين ، أحدهما مكشوف في الواجهة ، يبلغ عرضه ١،٥٠ م ، وعمقه ١٧ م ، والآخر مغطى ومحادي لجدار قاعة الصلاة ، وهو عبارة عن ظلة بسبع بائكات ، تعلو كلا منها قبة منخفظة ، وترتكز على ست دعائم ، بالإضافة إلى ثماني دعائم حائطية وسبعة عقود ، متقاطعة مع ستة عقود أخرى ، ويبلغ عرض هذه الظلة (البلاطة) ٢،٥٠ م ، وعمقها ١٣،٢٠ م (شكل ١ – صورة ٢)

٥ – الميضأة :

توجد الميضأة في آخر المسجد ، وهي مستطيلة التخطيط ، يبلغ عرضها ٤ م ، وطولها ١٣،٥٠ م ، وعلى شمالها توجد حجرة صغيرة مستطيلة ، يبلغ عمقها ٣،٥٠ م ، وعرضها ٢ م ، كما توجد حجرة أخرى ، على الجهة الجنوبية للميضأة ، مستطيلة أيضا ، يبلغ عمقها ٣،٥٠ م ، وعرضها ٢،٤٠ م . ونجد فسحة مستطيلة ، بعمق ٤ م ، وعرض ٢ م ، تفصل بين الحجرة الأخيرة والميضأة .

أما الدخول إلى الميضأة والحجرتين فيتم بواسطة ممر محادي لمؤخرة قاعة الصلاة، يبلغ عرضه ١،٦٠ م ،وطوله ٢١،٢٠ م ، ويفضي إليه من واجهة المسجد (شكل ١)

٦ – وسائل الدعم :

أ – الدعائم المضلعة :

تعتمد عقود السقف على دعائم في شكل أعمدة ثمانية أضلاع ، يبلغ قطرها ٤٥ سم ، وارتفاعها ٢،٢٦ م ، بنيت بالحجارة الجيرية والجص ، وملاطها كذلك من الجص ، ويبلغ عددها في قاعة الصلاة ٥٢ دعامة ، وهي تتوزع على ثمانية صفوف موازية لجدار القبلة ، حيث نجد صفين في المقدمة ، يحتويان على خمس دعائم في كل صف ، وتتوسطهما بائكة المحراب تعلوها القبة الرئيسية . أما الستة الصفوف الأخرى فتحتوي على سبع دعائم في كل صف .

كما يشتمل رواق المدخل على ست دعائم ، منتظمة في صف واحد ، موازي للجدار الشمالي لقاعة الصلاة . وتشمل واجهة الميضأة على أربع دعائم منتظمة كذلك في صف واحد

وجميع هذه الدعائم ، لا ترتكز على قواعد ، ولا تعلوها تيجان .

المنارة للاستشارات
www.

كما يشتمل الصحن على دعامتين في الإيوان (الرواق) الجنوبي ، وخمس دعائم في الإيوان الغربي ، وهي رباعية الأضلاع ، يبلغ عرض أحد ضلعها ٦٠ سم ، والآخر ٤٠ سم (شكل ١) .

ب – الدعائم الحائطية :

يشتمل الصحن على أربع دعائم حائطية في الإيوان الجنوبي ، وواحدة في الإيوان الغربي . وتشتمل قاعة الصلاة على خمس دعائم حائطية بجدار القبلة ، وسبع بالجدار الشمالي ، وثماني أخرى بالجدار الجنوبي ، بحيث ينتهي كل صف من الدعائم بدعامة حائطية عند الطرفين ، وذلك لحمل العقود ، وتدعيم الجدران .

كما يحتوي رواق المدخل على ثماني دعائم حائطية ، ست منها بجدار قاعة الصلاة واثنتين جانبيتين عند طرفي صف الدعائم المضلعة .

ولقد بنيت الدعائم جميعها بنفس مواد البناء التي بني بها المسجد ، ويبلغ نتؤها ٢٠ سم ، وعرضها ٣٥ سم (شكل ١) .

جـ - الاكتاف :

لا توجد التيجان بين الدعائم والعقود ، وإنما استعمل الاكتاف ، (أو الطرف) وهي عبارة عن ثلاثة أطواق من الجص ، ثمانية الأضلاع ، ومختلفة المقاسات ، ناتئة عن الدعائم ، وموضوعة فوق بعضها البعض ، بحيث أصغرها يوجد في الأسفل ، وأكبرها يوجد في الأعلى [٦] .

د – العقود :

يعتمد سقف المسجد كله على عقود نصف دائرية ، يساوي عرضها ٣٠ سم ، وقطرها ١،٧٠ م في قاعة الصلاة ورواق المدخل ، بينما يساوي عرضها ٣٠ سم ، وقطرها ٢ م في رواق الصحن وواجهة الميضأة . أما ارتفاعها ، فيبلغ نصف القطر باعتبارها نصف دائرية (شكل ١) .

٧ – القباب :

لقد سقف كل المسجد بقباب منخفضة ، فهي تعلو الحجرتين والميضأة ورواق الصحن ورواق المدخل ، وقاعة الصلاة التي تغطيها ٥٥ قبة ، عدا القبة المحورية الموجودة أمام المحراب . أما رواق الصحن فتغطيه تسع قباب ، ورواق المدخل تغطيه سبع قباب .

---

[٦] يوجد نظير لها في الجامع الكبير بتلمسان (أنظر)

R . Bourouiba , L'Art religieux musulman en Algérie , S.N.E.D , Alger 1973 , p p 77 – 78 .

المنارة للاستشارات
www.

كما تقوم قباب أخرى نصف كروية ، وهي تتمثل في القبة المحورية الموجودة أمام المحراب ، والست قباب التي تعلو رواق مؤخرة المسجد والمؤدي إلى الميضأة ، والقبة التي تعلو مدخل الصحن .

وجميع القباب تنتقل من المنطقة المربعة إلى الرقبة الأسطوانية مباشرة بواسطة ركنيات مثلثة ثم القبة المستديرة ، عدا القبة المحورية التي تعلو بائكة المحراب ، فهي تنتقل من المنطقة المربعة إلى الرقبة المثمنة ، بواسطة أربع حنيات محارية في أركان المربع ، ثم القبة المستديرة .

وكل قبة تساوي أطوالها البائكة التي تعلوها . عدا القبة المحورية التي تعلو بائكة المحراب ، فيساوي ضلع قاعدتها المربعة ٦ م ، وارتفاع ٣ م مجموعة بين منطقتها المربعة ومنطقة الانتقال والرقبة المثمنة .

ومن الخارج تظهر جميع القباب على الشكل الكروي .

وتقوم مع المئذنة فوق الأركان الأربعة لقاعة الصلاة ، ثلاث قباب ذات استطالة على شكل مبخرة أو برج [٧] ، وهي نصف كروية ذات أضلاع . أما الاستطالة فهي مربعة ، يبلغ ضلعها ٢،٣٥ م ، ويصل علوها إلى ٤ م ، وكل ضلع عبارة عن فتحتين معقودتين طولا بعقدين مدببين ، مع تحلية نباتية مخرومة في الأركان . (صورة ١ – ٢) .

تعتبر القبة ، في منطقة وادي سوف ، عنصرا معماريا أساسيا ومميزا ، أملته الظروف الطبيعية والمناخية ، فالقبة تقوم بتكسير أشعة الشمس الحارة وعكسها ، كما تقوم بنشر الرمال حتى لا تتراكم على السطح ، لأن المنطقة رملية وتشهد الكثير من العواصف .

٨ – المحراب :

تشتمل قاعة الصلاة على محراب مجوف ، يتوسط جدار القبلة ، ويتجه نحو الشرق ، وكوته نصف اسطوانية معقودة بعمق ١ م ، وعرض ١،٢٠ م ، وارتفاع ٢،٣٠ م .

ويكتنف المحراب عمودان من الجص أحدهما على اليمين ، والآخر على اليسار ، وهما لولبيان ، يبلغ ارتفاعهما ١،٥٠ م ، وقطرهما ٢٠ سم . وتعلو كل عمود طرفة على شكل تاج ، يبلغ ارتفاعه ١٠ سم .

---

[٧] يوجد ما يماثلها في مسجد الجيوشي ، وهي القباب ذات المحاريب (أبراج المراقبة) ، (انظر) ثروت عكاشة : القيمة الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ص ١٧٧ – ١٧٨ .

المنارة للاستشارات
www.

تنقسم كوة المحراب إلى قسمين : قسم أعلى ، وآخر أسفل ، فالقسم العلوي تكلله نصف قبة ، ويبلغ ارتفاعه ٧٠ سم ، أما القسم السفلي فيبلغ ارتفاعه ١،٦٠ م . ويظهر القسمان أملسان ، تفصلهما زخرفة صف من الخناصر المتدلية .

بينما نجد إطار المحراب يزينه عقد مدبب ، تحيط به حشوتان بحليات الطلاء ، ويحيط بالعقد والحشوتين شريط من الخطوط المدببة المتقاطعة ، وكل حشوة تزخرفها زهرة ذات ست بتلات ، موضوعة داخل دائرة ، وتحيط بها تسع زهيرات بنفس الشكل (شكل ٢) .

٩ – المنبر :

توجد إلى اليمين من المحراب كوة أخرى مستطيلة ، وهي مشكاة المنبر بجدار القبلة ، يبلغ علوها ٢ م ، وجوفها ١ م ، وعرضها ١ م كذلك .

أما المنبر نفسه ، فهو خشبي ، حديث الصنع ، يبلغ ارتفاعه ٢،١٥ م ، وطوله ١،٢٥ م ، وعرضه ٧٨ سم . ويشتمل على مدخل ، وجانبين ، وسلم ، وصدر ، فإطار المدخل مستطيل يكونه قائمان وعقد بخناصر معقودة .

ويتكون كل جانب من عارضتين في الأسفل ، تعلوهما حشوات مستطيلة ومثلثة ، موضوعة بطريقة متناسقة ، وعليها زخرفة مزررة ، وتنتهي بافريز مائل ، تشكله حلقات على هيئة رقم ٨ . ويتكون السلم من سبع درجات . أما الصدر فهو قصير وبسيط (شكل ٣)

١٠ – المئذنة :

تقع المئذنة في الركن الشمالي الشرقي لقاعة الصلاة ، وتظهر ببدن واحد مربع ومكلل بشرافات ، وتتوجها في الأعلى قبة صغيرة نصف كروية ، لها استطالة مربعة ، على شكل مبخرة تتوسط الشرفة [٨] .

ويضيق مربع المئذنة شيئا قليلا من الأسفل إلى الأعلى ، وهي بسيطة ، سميكة الجدران ، مرتفعة قليلا ، إذ يبلغ ارتفاعها الإجمالي ١٤ م ، وضلعها من الخارج ٥ م في القاعدة ، و٣م في القمة ، أما مدخلها فهو في الإيوان الغربي للصحن يبلغ عرضه ٧٠ سم .

ومن الداخل ، تشتمل المئذنة على نواة مركزية ومربعة ، يلتف حولها سلم ، يبلغ عدد درجاته ٦٩ درجة ، وكل درجة تبلغ ١٩ سم من الارتفاع ، و٧٢،٥ سم من العرض ، و٢٣ سم من العمق ، أما ضلع المئذنة من الداخل فيساوي ٤ م عند القاعدة ، و ٢،٣٠ م في القمة . ولقد بنيت هذه المئذنة بالحجارة الجيرية والجص ، كبقية أجزاء المسجد الأخرى .

[٨] يمكن مقارنتها بمئذنة الجامع الكبير بالقيروان (انظر)
G. Marçais , Manuel d'Art musulman , E.A.P , Paris 1926 , p 25 .

المنارة للاستشارات
www.

ومن ناحية الزخرفة ، تتميز المئذنة بالبساطة ، ولكنها في غاية الأناقة والجمال والتناسق الفني ، فتحليها شمسيات متكونة من مربعات ، تضيء السلم ، وهي مزينة بدورها بأشكال هندسية ، تشبه النجمة الثمانية الرؤوس ، في كل مربع .

وتشاهد تلك المربعات المكونة للشمسيات في كل ضلع للمئذنة ، موضوعة من الأسفل الذي يعلو سقف المسجد إلى الأعلى ، على النحو التالي :

- حطة تتكون من مجموعة أربعة مربعات على اليمين ، وأخرى على اليسار .
- حطة تتكون من مجموعة ثلاثة مربعات في الوسط .
- حطة في الوسط ، تكونها تسعة صفوف من المربعات موضوعة فوق بعضها كما يلي :
  * صف يحتوي على أربع مربعات
  * صفان يحتويان على ثلاثة مربعات لكل منهما .
  * صف يشتمل على أربعة مربعات .
  * أربعة صفوف ، يشتمل كل واحد منها على ثلاثة مربعات .
  * صف يشتمل على أربعة مربعات .
- طوق ناتئ ، يقسم المئذنة إلى قسمين متساويين .
- حطة كالسابقة ، تعلو الطوق ، ولكنها تظهر مقلوبة .
- حطة تتكون من ثلاثة مربعات .

أما الشرافات ، فهي مثلثة الشكل ومتدرجة ، تحتل الأركان الأربعة للمئذنة . (شكل ٤ – صورة ١) .

١١ – الزخرفة :

أ – واجهة المسجد :

ينتهي سور الواجهة بشريط من الشرافات تحليها زخرفة نباتية من أوراق ملتوية وزهور ذات بتلات .

ويشغل المدخل المحوري للمسجد ، ومدخل الصحن ، زخرفة جصية متطابقة بينهما ، وتظهر في كل منهما كما يلي :

- يكتنف المدخل عمودان لولبيان ، يحمل كل منهما تاجا منحوتا بزخرفة نباتية .
- عقد مدبب يعقد المدخل .
- اطار يحيط بالعقد ، تشغله زخرفة نباتية من أغصان وتوريقات وزهور ، وزخرفة مزررة ، وزخرفة كتابية تتكرر فيها عبارة « ولا غالب إلا الله » .
- شريط من المقرنصات يتوج الزخرفة .

ب – زخرفة القبة الرئيسية الموجودة أمام المحراب :

المنارة للاستشارات
www.

لقد عرفت منطقة وادي سوف الزخرفة على الجص وحفره ، وهو ما تعكسه القبة المحورية ، حيث تكسوها زخرفة دخيلة ليس لها علاقة بتاريخ المسجد أو بنائه أو مراحل ترميمه ، وتشاهد كما يلي :

المنطقة المربعة :

تتناوب فيها أشرطة الكتابة السطحية مع القاشاني المحلي بالعقود المدببة والدوائر والنجوم ذات ستة رؤوس .

أما أشرطة الكتابة فهي بالطلاء ولا تحمل أي تاريخ ولا تشير إلى أي مراحل سابقة ، وهي كالتالي :

- يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .
- رحم الله شهدائنا الأحرار .
- رأس الحكمة مخافة الله .
- بسم الله الرحمن الرحيم – وما توفيقي إلا بالله – عليه توكلت وإليه أنيب .

المنطقة الانتقالية :

وهي بين المنطقة المربعة والرقبة المثمنة ، تتناوب فيها الحنيات المحارية في أركان المربع مع أربع حطات ، وجميعها تكسوها زخرفة منقوشة على الجص .

كل حنية تزخرفها عقود متراكبة ، وشمسيات ، ودوائر متشابكة ، وخطوط منكسرة .

وكل حطة يزخرفها نصف دائرة ، بداخله مثلثان منحنيان ، يكتنفان دائرة ، بداخلها زهرة ذات ثماني بتلات ، وبداخل كل مثلث زهرة صغيرة ذات ست بتلات .

الرقبة المثمنة :

تتناوب فيها أربع حطات مع أربع نوافذ .

كل حطة يزخرفها مربع بتحلية خطوط متقاطعة ، ويحيط به مربعان ومستطيل بتحلية مزررة .

وكل نافذة يكتنفها مستطيلان بتحلية مزررة .

وترتبط زخرفة المنطقة الانتقالية بزخرفة الرقبة المثمنة بواسطة مثلثات .

وكل شكل هندسي في المنطقتين تؤطره أشرطة من الخطوط المنكسرة (شكل ٥ – صورة ٣)

الخاتمة

جاء هذا الوصف المتواضع حسب المجهود الفردي الذي قمنا به .

المنارة للاستشارات
www.

وربما كانت هذه الدراسة ناقصة في كثير من جوانبها ، وذلك راجع إلى طبيعة مواد البناء المحلية والظروف المناخية المؤثرة فيها من حرارة شديدة في فصل الصيف ، ورياح رملية كثيفة لاسيما في فصل الربيع ، وتربة مالحة ، وتصاعد المياه الجوفية ، مما يجعل البناء لا يقاوم مدة زمنية طويلة ، وبالتالي تتكرر عملية إعادة بناء المسجد في فترات زمنية قصيرة ، وكلما جدّد بناؤه ، تغيرت ملامحه ،واندثر تاريخه .

كما أننا لم نعثر على كتابة أو وسائل في المسجد أو غيره تشير إلى تاريخه ، ولم يذكر حتى عند أهل المنطقة الذين اهتموا بتاريخها وأوضاعها ، أمثال : محمد بن محمد بن عامر العدواني ، الذي ينسب إليه أهل البلدة المسجد ، وهو من قبيلة عدوان العربية ، مؤرخ ورحالة ، استقر في سوف [٩] ، ودفين الزقم ، عاش وكتب تاريخه في القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) [١٠] .

- إبراهيم بن محمد الساسي العوامر ، ولد بوادي سوف عام ١٨٨١ ، وتوفي بها عام ١٩٣٤ ، وهو من علماء المنطقة ، أرّخ لها في كتابه « الصروف في تاريخ الصحراء وسوف » [١١]

- وحاليا هذا المسجد لا وجود له كما جاء في الوصف ، بل هدم تماما وأعيد تخطيطه وتصميمه وبناؤه بالمواد والطرق العصرية . أما الرسومات التي قمنا بها والصور التي أخذناها سابقا ، فهي الوثائق الشاهدة على نمطه السابق .

[٩] محمد بن محمد بن عمر العدواني : تاريخ العدواني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٦ ، ص ١٧ – ٢٩ .

[١٠] أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ٢ ، ط ٢ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٥ ، ص ص ٣٤٣ – ٣٤٤

[١١] ابراهيم العوامر ، المرجع السابق ، ص ص ١٩ – ٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.

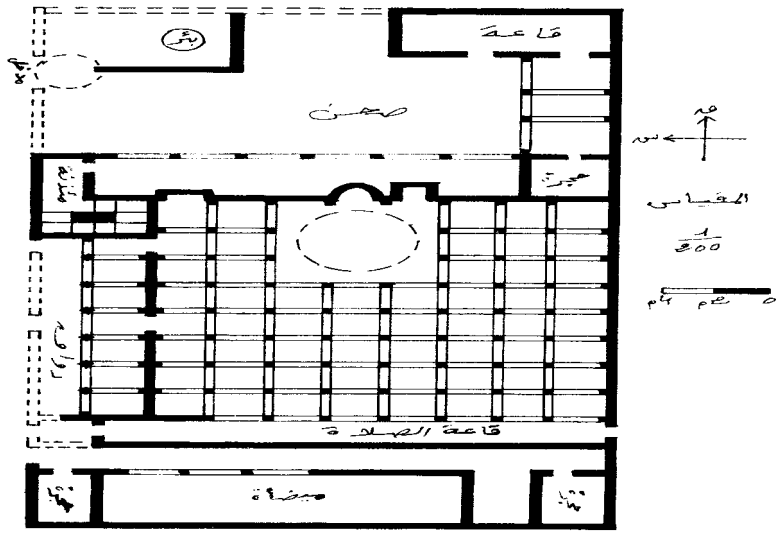

شكل 1 ـــ مسجد العدواني : التصميم العام

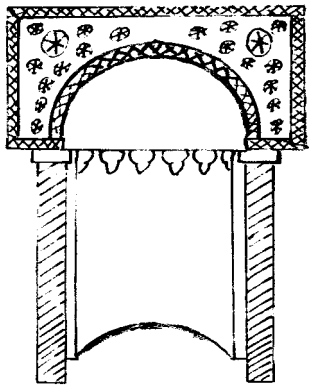

شكل 2 ـــ مسجد العدواني : المحراب

المنارة للاستشارات
www.

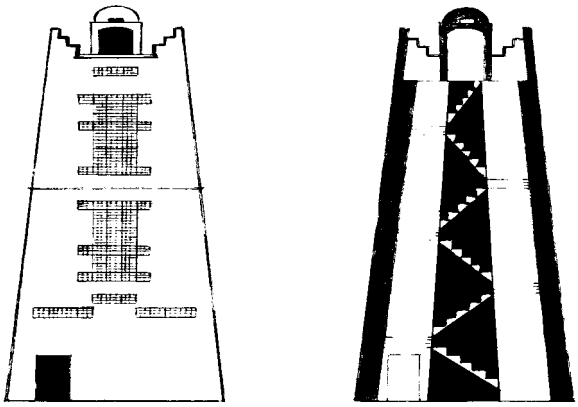

شكل 4 ــ مسجد العدواني المئذنة

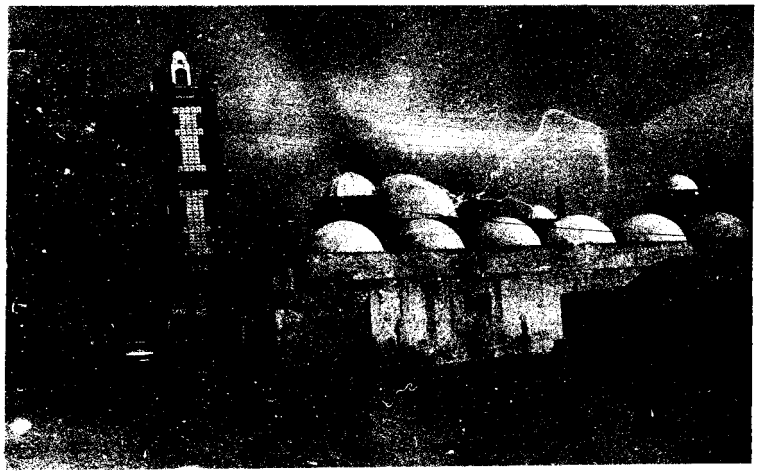

صورة 1 ــ مسجد العدواني : المظهر الخارجي

المنارة للاستشارات
www.

صورة 2 ـــ مسجد العدواني : الواجهة

صورة 3 ـــ مسجد العدواني : زخرفة القبة الموجودة أمام المحراب

المنارة للاستشارات
www.